

## توشكي والتنمية المستدامة: مسؤولية المعماري في بناء جيل المستقبل

د. أحمد يحيى محمد جمال الدين راشد  
أستاذ مساعد، جامعة الإمارات العربية المتحدة، كلية الهندسة، قسم الهندسة المعمارية

**مقدمة:** ليست الدراسات المستقبلية ومستقبل مصر مجرد ضرورة نظرية، ولكنها قضية جيل لابد أن يجتهد ويفكر ليؤدي مسؤوليته نحو أجيال المستقبل. وعلي مدي سنوات تنوعت مشروعات ذات صبغات قومية، بدأت بتوقعات متفائلة وانتهت بنتائج محدودة أو إحباط. ومع أن قدرات مصر متجددة ومستمدة من جذورها الحضارية ومن طاقات الإنسان المصري إلا أن التفكير في المستقبل يجب أن يتعدى مراحل التجربة والخطأ التي تستنفذ الطاقات، وأن تكون خطوات مدروسة ومخططة وبنوع من شراكة الأطراف للوصول إلي تنمية مستقبلية ومستدامة. ومؤخرا ظهر مشروع توشكي كمشروع الدولة القومي الذي تحفز له كل طاقاتها لتفعيله. والسؤال: هل توشكي مستقبل مصر؟ أم يستنزف المقدرات الحالية والمستقبلية. وهل تم الاستناد إلى دراسات واقعية، علمية وعملية في صناعة القرار، وهل تتواكب القرارات مع معدلات التغيير الذي نعيشه في مرحلة العولمة، وما يستتبعه من تغييرات اقتصادية واجتماعية وسياسية، وصار المشروع بين متحمس ومتحفظ، ومؤيدا ورافضا، ليثار التساؤل: هل بمقدور مصر أن تعمل وتتمو في إطار الوادي القديم وحده تاركة ٩٥% من مساحتها معطلا؟ وماذا يحدث بعد ربع قرن بدون مشروع توشكي. والإجابة: أن مصر لا تستطيع ذلك ولا تتحملة والمشروع وفقا للوضع الحالي ضرورة حياة لمستقبل الغد، وليس مجرد ارض جديدة تضاف إلي حيز المعمور أو مشروع نهضة تستوعب مختلف مجالات النشاط إنتاجيا وخدميا أو أداة لإعادة توازن إلي خريطة مصر سكانيا وعمرانيا واقتصاديا، إنما بالإضافة لذلك مجال فسيح بكر للبناء والتنظيم والاستثمار علي قواعد جديدة بلا قيود مكانية. ليشمل أنشطة إنتاج وخدمات وبنية أساسية وقيام مجتمعات عمرانية جديدة علي أسس تخطيطية صحيحة من حيث تشييد المساكن والمستشفيات ووحدات العمل ويتلاءم مع الطبيعة المناخية للمنطقة. وعليه فإن مشروع توشكي ومستقبل مصر لا يمكن أن يترك للقوى التلقائية أو لمصادفات تاريخية، مع التأكيد أن فكر الوادي القديم بمشكلاته وأمراضه لا يناسب مستقبل المجتمع الجديد، وإذا لم يسارع فكر المعماري المصري برسم صورة مستقبلية مرغوب فيها لمجتمعهم من منظور مصلحة مصر، فسيؤولي الآخرون تلك المهمة عنهم، ولكن مع فارق أساسي، وهو رسمهم مستقبل مصر طبقا لمصالحهم، ولأن ما نعيشه اليوم من أرث الآباء والأجداد، فإنه من المسؤولية أن نندرس ما يمكن أن يرثه منا الأبناء والأحفاد والدور الذاتي للجيل الحالي. ومسؤولية المعماري واجبة ومثبتة في هذه المرحلة، ولا يمكن أن يتخلى عن دوره أو قيادته في خلق البيئة العمرانية المستقبلية واستدامتها في فكر ووجدان طفل اليوم، رجل المستقبل.

**هدف البحث:** تأكيد مسؤولية هذا الجيل نحو جيل المستقبل متمثلا في دور المعماري في بحث ودراسة مستقبل طفل اليوم، رجل الغد، من خلال دراسة إمكانيات استدامة التنمية بمشروع توشكي والتفكير فيما يمكن أن تحتويه بيئاتها من مزج بين تقنيات العصر من جهة، والأصالة وما تشمل من أنساق عقائدية وفكرية وتعليمية من جهة أخرى. ويهدف البحث إلى إيجاد وسيلة غير نمطية أو تقليدية للفكر المعماري لخلق البيئة المستقبلية يتم فيها غرس مفاهيم، زرع مبادئ، وإيقاد وعي، وإمام بتاريخ الأمة، بأسلوب بسيط ومعاصر.

**الكلمات الدالة:** توشكي، والتنمية المستدامة، مسؤولية المعماري، بناء جيل المستقبل

**فرضيات البحث:**

- نحتاج إلي رؤى مستقبلية وبرامج تجمع بين حاضر ومستقبل مصر، توضع سيناريوهات ولا تضع خططا.
- التنبؤ أمر صعبا وسط متغيرات إقليمية وعالمية، وثورات علمية وأن دراسات المستقبلات تعتمد علي فكر (البقاء للأسرع) بمعنى من يصل أولا إلي تطبيقات علمية وتكنولوجية تغير وجه الحياة.
- قضية السكان والموارد قضية استراتيجية لابد من النظر لها في المدى الطويل ومن ثم يصبح الخروج من ٥% بوادي النيل والانتشار لمناطق أخرى ومنها توشكي تطويرا رئيسيا للموارد.
- منطقته توشكي لا تحتاج لعمران جديد في صورته فقط بل وجديد في فلسفه تنميته.
- مسؤولية المعماري نابعة من رسالته في أعمار الأرض، ومحاولة تغيير مستقبل واستدامة التنمية لتوشكي. وذلك بعمل مدروس ومن منطلق تنافس متكافئ، بحيث يمكن أن يكون لهو الطفل، وغرس قيم أخلاقية وعقائدية مدروسة وتعليم ذاتي لمفردات البيئة المستدامة وفي نفس الوقت لمكونات التقنية في مسار واحد مستهدف.
- القيم الأخلاقية والعقائدية والفنية والمعمارية للبيئات القديمة وما تحتويه من أفكار وحلول وأساليب معيشية متوافقة مع البيئة وليست الرغبة للعودة للماضي هي المبرر لاستنباط فكر عمراني مستقبلي لتنمية مستدامة.

• يمكن أن تكون لعبة الطفل إحدى وسائل أحباء وغرس قيم التنمية المستدامة لتوشكي في خيال الطفل

• الحوار والدراسات التي تناقش قضايا مستقبل توشكي ومستقبل طفل اليوم، رجل الغد لن تأتي بجديد من

خلال أفكار تقليدية معتادة ولذا يلزم ظهور أفكار جديدة قد تكون في بعض الأحيان غير نمطية الاتجاه.

**منهجية البحث:** "سئل سقراط: متى نبدأ بتربية الطفل؟ فأجاب: قبل أن يولد بمائة عام. فسئل: وكيف يكون ذلك؟

فقال: يجب أن نربي أبويه قبله، وأجداده الأربعة". يستهدف البحث دراسة كيفية استدامة التنمية لمشروع توشكي مع تخطيط وبناء مستقبل طفل اليوم، رجل الغد، وذلك من خلال وسيلة بسيطة في الفكرة، عميقة في الهدف والتأثير وهو خلق بيئة خيالية مدروسة ومبتكرة ونابعة من تراثنا وقيمتنا تحت قيادة المعماري وتكثيف جهود مختلف التخصصات، ودراسة كافة طرق توصيل وزرع هذه المفاهيم في وجدان الطفل، لتتعدى هذه البيئة (اللعبة) حدود اللهو لتكون منبرا للتعليم والتربية والتنشئة. أن لعبة الأطفال لها أبعاد معمارية، سياسية، واجتماعية و عقائدية وإعلامية ومستقبلية، تجعل منها سلاح لا يمكن الاستهانة بتأثيره علي أطفالنا، وعليه يتضمن البحث الخطوات التالية: مرحلة الدراسات المتكاملة (وضع إطار من منهجية وفلسفة، ماهية الذات؟)، مرحلة دراسة الوضع الراهن والأفكار المشابهة. (كيف تم احتلالنا فكريا ومعماريًا؟)، مرحلة دراسات تصميم عناصر البحث المختلفة. (مسئولية المعماري و بيئة المستقبل؟)، مرحلة الدراسات التجريبية للمنتج المعينة المستهدفة. (توافق بين الفكر والتطبيق؟)، مرحلة التصنيع للبيئة المعمارية. (الاعتماد على إمكانيات الذات)، مرحلة دراسات السوق والتسويق والدعاية. (كيفية الانتشار)، مرحلة دراسات الاستدامة والتطوير. (كيف تتطور مع المتغيرات). ولكل مرحلة فريق عمل وتمويل ومدة زمنية متناسبة مع حجم وأهداف المرحلة، يحدث بينها تداخل متباين. والرؤية تنقسم إلي جزئيين: الأول وتتناوله الدراسة بالتفصيل ويشمل المراحل الأربع الأولى. والثاني يبحث إمكانيات التطبيق والتنفيذ والتمويل الخارجي للمراحل المتبقية من الرؤية مستقبلياً.

**تساؤلات فلسفية:** هل يمكن فصل قضايانا السياسية، عن الاقتصادية، عن الاجتماعية، عن الفكرية في بناء مستقبل مصر؟ ماذا ورثنا من الأجداد وماذا سنورث للأحفاد؟ هل تناولنا لمشروعاتنا القومية فترة حماس مؤقتة، أم عمل ورؤية ومسئولية؟ هل للمعماري دور في معركة الفكر وثبيت المفاهيم؟ هل لابد أن يكون الفكر معقد أم يمكن أن يكون بساطة الفكر نابعة من عمق التأثير؟ هل هناك فصل بين البيئات والمباني المعمارية التراثية من جانب وبين ما نعيشه من معاصرة من جانب آخر؟ وهل يمكن بفك شفرة البيئات التراثية أن نستخلص ما تحتويه من أنساق ثقافية متكاملة من معرفة وعقيدة وسلوك؟ هل توظيف فكر البيئات التراثية وما تحتويه يكون من منظور الاستعادة أم الاستفادة؟ هل نعيش الازدواجية أي أجساد في بيئة ثقافية وأحلام في بيئة ثقافية مغايرة؟ هل نظل في بحثنا عن الأصالة والتراث في معاداة للتطوير والتنمية والعصر وفي نفس الوقت نستزف منجزاته؟ وهل نفكر في دراستنا بطفل اليوم أم حفيد اليوم؟ وهل يمكن أن تكون الإجابة كلها من خلال خلق بيئة خيالية مدروسة ومنبعثة من تراثنا وقيمتنا وديننا ومثله في النهاية على شكل لعبة الطفل لضمان استدامة التنمية في توشكي؟

**مصر والمستقبل:** عندما شرعت مصر في مشروع توشكي كان بهدف أساسي: "خلق وادي جديد يمتد بمحاذاة الوادي القديم ليستوعب طموحات الأجيال القادمة"، في محاولة جادة لتصحيح الاختلالات الحادة في نمط توزيع الاستثمار والسكان. وكأي مشروع جديد تصاحبه فورة عاطفية تجنح إلي مبالغة في التفاؤل وتوجه معارض يجنح إلي إغراق في التشاؤم وبين هذين الطرفين يأتي حديث العقل الواثق الذي يبدأ بالتساؤل هل بمقدور مصر أن تعمل وتتمو في إطار الوادي القديم وحده تاركة ٩٥% من مساحتها رصيذا معطلا. ومع حسم الإجابة لابد أن يثار التساؤل: كيف ومتي ومن هم مستوطني توشكي؟ سنجد أن طفل اليوم وحفيد الغد هما المستهدفين. ومشروع توشكي يبدأ بالزراعة ويقوم علي نقل مياه النيل إلي الغرب لتكوين الدلتا الجديدة ويعيد تشكيل حياتنا وفق قيم ترشيد اقتصادي وتوجيه الموارد، لا يقتصر فقط علي الامتداد الزراعي وإنما يسمح بالتمتع بإمكانات ومقومات عديدة للإنتاج الزراعي ومختلف أنشطة الإنتاج الصناعي والتعديني بالإضافة إلي التوسعات الهائلة للأنشطة السياحية. ومن المفترض إنشاء ١٨ مدينة فوق مساحة ٨٠٠ ألف فدان بمنطقة توشكي. وتبلغ مساحة المدينة الواحدة حوالي ٣٥ ألف فدان وإن كانت سوف تتفاوت طبقا لموقعها ونوعية نشاطها الاقتصادي ويشترط في تحديد مختلف مواقعها مدى اقترابها من المواقع المختارة في الخريطة الاستثمارية لإقامة محطات المرافق المختلفة<sup>٣</sup>. ومزج سبيل العلم مع الخيال هو ما يلجأ إليه الساسة والفلاسفة لصنع المستقبل وتغيير الواقع، والعلم له ثوابته، أما الخيال فلا بد أن يمتد لما نسيمه (غير المبحوث) أو (غير المطروق). وتتمثل الصعوبات في أن مجال البحث المستقبلي في مصر، وإن لم يكن حديث النشأة تماماً، إلا أن ما أنجز فيه من بحوث كان قليل العدد وجرى في فترات متباعدة، بل وكثيراً ما كان يتوقف قبل أن يكتمل نموه وفق ما أعد له من خطط. ولذلك لم يترامك للبحوث المستقبلية تراث كبير يمكن لمن يتصدى لها الرجوع إليه والاعتراف منه.

وفي تفكيرنا لمستقبل مصر يمكننا طرح السؤال؟ **ماذا كان يحدث لو أن نوحا عليه السلام لم يصنع سفينته قبل الغرق الكبير؟** هل كانت هناك حينذاك حياة علي وجه الأرض؟ فالقضية هنا: كيف سيعيش أبناؤنا؟ وماذا بينتظرنا في المستقبل القريب؟ وعمل دراسات مستقبلية يتطلب قاعدة معرفية تساعد علي اختيار المستقبل الأفضل لتوشكي. تتكون هذه القاعدة المعرفية من شقين: والشق الأول: تصورات بديلة لحركة تنمية توشكي في مختلف المجالات، وهو ما يطلق

عليه سيناريوهات، والشق الثاني: تقدير لمنافع وتكاليف واستدامة كل سيناريو، وتصور لحالة الإنسان والمجتمع التي يتمخض عنها كل سيناريو في المستقبل.

وفي ضوء هذه المعلومات يمكن للمجتمع أن يحدد مساراً أو آخر من المسارات البديلة لمستقبل توشكي، ويلتقوا حوله، أو يرشحوا بديلاً آخر في ضوء دراستهم لسيناريوهات المشروع. ومن خلال التفاعل مع هذه المعلومات يتحقق أمران على قدر عظيم من الأهمية. **أولهما:** تنمية رأى عام مهتم بمستقبل توشكي، ورفع مستوى الوعي العام بالقضايا والتحديات التي يحملها المستقبل في طبيعته، والنهوض بالحوار حولها. **وثانيهما:** بلورة منهج جديد في إدارة شؤون المجتمع والدولة، تتأسس فيه عملية اتخاذ القرارات على ركائز متينة من المعرفة الشاملة والمركبة بالواقع والنظرة متعددة ومتفاعلة التخصصات إلى المستقبل.

**عمران ومجتمع توشكي:** من أين سيأتي سكان توشكي؟ وما شكل نمط العمارة والعمران من مساكن ومدارس ومستشفيات وشوارع وطرق وميادين؟ يفترض أن يكون السكان من كافة أنحاء مصر من الأسكندرية إلى أسوان باختلاف الخصائص لشباب يبحث عن إثبات الذات لينصهروا في بوتقة واحدة ليكونوا سكان توشكي الموطن والانتماء. ومفترض أن جيل اليوم من شباب هذا العصر سيتبعه أجيال من أبناء وأحفاد هم الهدف ليكون لتوشكي مواطن ومنتمي. وبداية فإن نقل الانماط والطرز التي كانت علي احقاب طويله في الوادي الي الصحراء سيكون ولا شك خطأ تاريخيا فيجب عدم التسرع في تخيل حلول لنوعية عمارة المستقبل فالقضية ليست سهلة او بسيطة، ماذا نعمل؟ ان الحل الصحيح هو العلم من تقنيات وامكانيات علميه تساعد علي حل إشكالية تحديد العمارة والتخطيط الملائمين لطبيعته توشكي الصحراويه. ومن خلال الأفكار والمسابقات المعمارية لتخطيط وبناء مدينة **توشكي**<sup>١</sup>، التي تقع علي مساحة ٣٠٠٠ فدان ويفترض ان تستوعب مائة ألف نسمة وتوفر ٢٢ ألف فرصة عمل في مجالات استصلاح الاراضي وصناعة وسياحة وخدمات. مع تخطيط عمراني لانشاء نوعيات مختلفة من الاسكان سواء متوسط او فوق متوسط او اقتصادي بالإضافة الي اسكان المستقبل وتزويد المدينة بشبكات المرافق اللازمة سواء من مياه او صرف صحي أو طاقة متجددة وشبكات اتصال حديثة. وقد وجدت افكار متنوعة ومشروعات مختلفة تعطي صورة متكاملة لمنهجية البناء المتوافق مع البيئة، اعتماداً على الخامات البيئية القوية المتوفرة لبناء مسكن يتلاءم مع مناخ وبيئة هذه المناطق من ناحية العزل الحراري والتكلفة المنخفضة التي تتناسب متطلبات البناء لخلق مجتمعات جديدة وتحويلها الى مناطق جذب سكاني وحضاري. ومع استخدام الحجر والخرسانة يمكن أحلال زعف وجريد النخيل محل حديد التسليح وابتكار نظاماً انشائياً يحقق متطلبات أمان المنشأ ومقاومة الاجهادات والعوامل البيئية المختلفة من حيث العزل الحراري ومقاومة الزلازل. أما من ناحية تخطيط المدينة فتصميم البيوت مع حرص على تجاوزها لتحقيق ظلاً لبعضها البعض، وهو أيضاً ما يقلل من تكلفة مد الخدمات مثل تقليل أطوال الأسلاك والمواسير. ومع ذلك لم تنفذ أفكار المشروعات، وتمضي الدولة في بناء المدينة بالشكل النمطي المعتاد ببناء مساكن نمطية ضيقة المساحة وسيئة التخطيط وقاصرة في خاماتها على الخرسانة المسلحة.

وفي كل محاولات التفكير في مستقبل للبيئة المصرية المستقبلية يكون من المطروح فكر وعمارة حسن فتحي، وقد انسحبت تسمية "عمارة حسن فتحي" مجازاً على كل تجربة تحاول استكمال واستلهام تجارب معمارية لإحياء أشكال محلية وشعبية وبيئية من العمارة. وإن كان "حسن فتحي" لم يقدم عمارة جديدة بقدر ما قدم منهجية لإحياء العمارة الشعبية المحلية. وأظهر ان العمارة الصحراويه تختلف عن عمارة الوادي من نواح كثيرة مثل مقاومتها للحرارة واستخدام التيارات الهوائية لصالح الانسان واستخدام المواد المحلية ونظم البناء الملائمة للطبيعه الصحراويه<sup>٧</sup>. وليس هذا المثل الوحيد الذي يجب ان يحتذي به ولكن هناك ضروره لدراسة التجارب المشابهة في العالم وتنوع الدراسات وتطوير الأفكار وفقاً للتقنيات الحديثة والتي كل يوم يظهر منها الجديد. مع دراسته المواد المحليه بتوشكي وامكانيات استخدامها في البناء ودراسه نظم الانشاء الملائمه للصحراء من حيث الحرارة والتهويه ثم دراسته تخطيط التجمعات العمرانيه تخطيطاً يتلاءم مع بيئة توشكي. ويجب مراعاة طبيعه الصحراء في ان المباني المنخفضه هي الحل الأمثل والحوائط السميكة لمقاومه الحرارة. فضلاً عن ضروره خلق مجتمع متكامل به عوامل الثقافه والترفيه والاعلام والتعليم والاستثمار والصناعات الحرفيه والنقل والمواصلات والخدمات اللازمه له.

**فلسفه التنمية والبيئة الخيالية للطفل:** اما من حيث فلسفه التنميه للمنطقه فيجب الاعتماد علي فلسفه الندرة التي تحكم الحياة في الصحراء كاساس ومدخل لتنميه المنطقه. ويتطلب الأمر تغيير بعض من سلوكيات العمل والعادات الي حد اكتساب سلوكيات وعادات جديده وليده بيئه مختلفه وفكر وادوات ووسائل حديثه اكثر قدره علي التعامل مع مواقعها. مع مراعاة التعدديه الاجتماعيه في تكوين مجتمع توشكي. ولأستدامة التنمية في توشكي: لابد من تكامل خبرات التخصصات المختلفة لتحقيق الأستخدام الأمثل للموارد الطبيعیه المتاحة، طبقاً لخطة زمنية ولاشترطات محددة في مجالات التنمية المختلفة، لتحقيق أقصى استفادة منها مع الحفاظ عليها من الاستهلاك المفرط والتأثيرات السلبية لبعض خطط التنمية على البيئة.

ولأن طفل اليوم، رجل الغد هو مواطن توشكي فلا بد من فهم كيف يفكر الطفل؟ كيف يتولد لديه الانتماء إلى عائلة معينة، قبيلة معينة، مدينة معينة، محافظة معينة، وطن محدد، أمة واحدة، عقيدة ودين، ثقافة وعصر. إن دراسة عقلية الطفل في مصر والمؤثرات المؤدية لتفهمه لهويته الوطنية، وانتمائه لثقافة، فكر، وطن، عقيدة، لمن أساس الرؤية المستقبلية في هذا الورقة البحثية<sup>١</sup>. وتأتي الأهمية في مصر لكونها ترنو بعدد من الحضارات المتعاقبة، وأعتبر كل ما هو وارد على المجتمع على كونه حديث، فينشأ الطفل مشوش "يعرف" و"يعي" و"يصدق" وأخيرا "يقلد" الآخرين. ويتأثر بشخصيات متباينة التأثير عليه من أب، وكبار، وشخصيات في الخيال (شخصيات ديزني مثلا) معتبر سلوكهم نموذجا له. ومن ثم فإن أهمية التباحث في تربية الطفل والتحكم في محيطه، وابتكار شخصيات وبيئة خيالية من ذاته تتكامل مع الواقع المعاصر، ويمكن أن يكون دور التربية من خلال تحليل وعمل عدة أبحاث لدراسة طبيعة تفكير طفل مصر ومفهومه لمعني كلمة "هوية وطنية".

ويتم في البحث الإجابة على التساؤلات الفلسفية السابق طرحها، والتفكير في دراسات عديدة على مختلف المحاور عن كيف نصنع مستقبل الطفل في توشكي؟ وعن أي مستقبل يمكن أن نساهم في صنعة، وهل يمكن أن للمعماري أن يكون له رؤية وفكر ووسيلة تترجم البحوث والدراسات والفكر النظري إلى واقع تطبيقي، وما مدى الفائدة التي يمكن أن تتعكس على مجتمع مصر من جراء الدراسة. وتم دراسة بعض الأساليب المختلفة لصناعة المستقبل المتبعة من دول أخرى، وقدرتهم في الغزو الفكري والثقافي على مجتمعنا، وعليه كان التفكير في الوسيلة ذات التطبيق العملي ممثلة في خلق بيئة خيالية متكاملة ومدروسة (لعبة)، تكون ذات أهداف واضحة التأثير على مجتمع مصر وتوشكي، وذلك بأن يعيش طفل مصر، رجل الغد "توشكي" كل تفاصيل الحياة المرجوة والمرسومة من مفكرها ومعمارها، في الخيال يتربي بالخيال ويؤمله الخيال بالقدرة على مواجهة وخلق الواقع المستقبلي لمصر وتوشكي. وتكون هذه اللعبة نواه لتأكيد الهوية وتثبيت المفاهيم بمصر من أسوان وحتى الإسكندرية ومن العريش وحتى السلوم، وتكون اللعبة مجال وفرصة لتحقيق أحلام الجيل الحالي نحو جيل المستقبل.

**مسئولية المعماري:** في الوقت الذي يقوم فيه خبراء التخصصات المختلفة بعمل دراسات لمشروع توشكي ويتم تنفيذ قناه من النيل وتمهيد الأرض للزراعة، فإنه لا بد من تقدير قيمة البعد الزمني للوصول إلى نتائج بناءه وملموسه. ويتطلب الأمر تغييرا في نظام التعليم من الابتدائي إلى الجامعة وتوجيه نحو بناء توشكي، ويكون التعليم الزراعي مثلا لأعداد المهندسين الزراعي بكافة ظروف استصلاح الأراضي الصحراوية. أما بشأن التعليم المعماري الحالي في معظم المعاهد التعليمية بمصر فنجد قاصرا وغير مناسب ولا بد من تطويره نحو منزل ومدرسة ومستشفى وتخطيط وطرق توشكي. وما نعيشه اليوم من معاناة أو اغتراب عمراني ومعماري هو موروث أجيال سابقة اجتهدت وجاهدت فأصابنا وأخطأت. ويكون من المسؤولية والجهاد أن نندرس ما يمكن أن يرثه الأبناء والأحفاد والدور الذاتي للجيل الحالي في هذه القضية، ولا يمكن أن نتجاهل في الوقت نفسه ما توصل إليه العالم من حضارة وثقافة وابتكارات وفكر. ولا بد كحد أدنى في هذه الإشكالية أن يكون لنا على الأقل حرية الانتقاء، ووجود بديل أو بدائل لكل ما نسعي إلى تحقيقه عمرانيا ومعماريا. ورغم البذل والسعي الدائم والمجهودات للدولة في مصر وما يرتبط بقضاياها من مشروعات ودراسات وأفكار، إلا أنه لا يزال في الإمكان تقديم أفكار تتكامل مع الجهود وتوظف مع كافة أجهزة الدولة وكل رب أسرة في توفير الحماية لأبناء هذا الوطن. ولأنه دائما وأبدا ما يكون الاحتلال الفكري والعقائدي بطيء وغير معلن أو محسوس ولكنه طويل المدى وتأثيره غير فجائي أو ظاهر، ويفاجئ به الإنسان نتيجة موقف أو ظروف غير متوقعة ليجد مساحات من السيطرة لم تكن مأخوذة في الاعتبار أو الذهن قد تحكمت وتمكنت.

### **استدامة التنمية بتوشكي: "البنى أبناك ولا تبني له".**

يكون الأطفال حوالي ٤٠% من مجموع سكان مصر حاليا، وهم أصحاب الشأن في مستقبل الوطن وهم مواطني توشكي. وتعي الدولة في مصر أن طفل اليوم، رجل الغد، سيكون في سياق مع الزمن، وسيواجه بتحديات، وطغيان للقيم المادية على القيم المعنوية، وسيكون محاصرا بتيارات من العولمة والأعلام الموجه، في ظل تقنيات حديثة تتطور كل يوم بقفزات خيالية، وأنه لا يمكن أن يكون طفل اليوم أسيرا بوصفه مستهلكا فحسب، بل لا بد أن يكون مشاركا في مفردات تكوين المجتمع الدولي من خلال فهمه لذاته، وقدرته لصناعة قراره، مسلحا بقيم دينية وتراثية وروحانية ومعنوية. ومن المؤكد أنه قد تمت وتم محاولات منفردة ومتعددة لدراسات وسياسات تستهدف القيم النبيلة الخاصة ببناء طفل اليوم، رجل الغد، وتقوم الدولة بمجهودات لتأكيد الهوية ودراسة الجمع بين الأصالة والمعاصرة، ولكن في بعض الأحيان يتمزق الطفل بين أفكار وشعارات وبين فجوة التطبيق في الحياة الواقعية المحيطة به، هذا التمزق ينعكس في سلوكه وتصرفاته ومصيره وبالتالي في المستقبل المنتظر منه<sup>١</sup>. وعلى سبيل المثال لمعاناة طفل اليوم للازدواجية هو ما يحيط به من أعلام موجهة ومدروس ومبتكر لثقافات دخيلة عليه، بعيدة عن واقعة وبيئته وفكره، تنقل له قيم سلوكية وتربوية وسياسية واجتماعية، وبين ما يقابلها من شعارات ومبادئ غير قابلة للممارسة العملية وبعيده عن مفردات العصر الذي يعيش فيه. ولذا تجده حتى إذا ما قاوم أو كانت له الرغبة في الحياة في عالم القيم والمبادئ النبيلة لما فيها

من توافق مع الفطرة البشرية، ألا انه لعدم وجود البديل المكافئ المدروس، سرعان ما يتم استقطابه وأسرره ووضع في المكان المستهدف من هذه الثقافات تجاه طفل يومنا، أمل مستقبلنا. ومما لا شك فيه أنه قد تمت محاولات لصد تيارات الغزو الفكري من عولمة، وذلك بعمل شخصيات وطنية من لعب أطفال أو مجلات أو قصص فيها من شخصيات مميزة ومحلية، ولكن هذه المحاولات أو المشاريع قد انهزمت أو لم تتمكن من التعايش في مناخ العولمة، وذلك ربما لعدم وجود دراسات طويلة الأجل عميقة الفكر ورؤية واضحة للهدف، وأمام شركات دولية أقل ما يمكن أن نطلقه عليها أنها مؤسسات غزو فكري تملك من سبل ودراسات ووسائل ودعم اقتصادي وإعلامي ما لا يتيح أن ينافس أو يتنافس. والمؤكد أيضا أنه لا يمكن ترك الساحة بدون بديل مكافئ، وعمل محاولة جادة ومستمرة لتغيير المنكر باليد والعمل والجهاد. ولابد في عصرنا هذا ومع كل ما يعيشه طفل اليوم أن نتعامل مع نضجه ووعيه بعمق وابتكار ما يتناسب مع هذا المناخ ومقابلة الحجة بالحجة وبناء فكر الطفل بوعي مستمد من واقعنا وقيمنا وديننا. أن الهدف من التفكير في لعبة ليست بسطحية التفكير المحدود لشغل وقت الطفل ولهوه، ولكن تستهدف الفكرة أساسا إلى إيجاد وسيلة عصرية تنافسية لتثنية هذا الطفل وغرس قيم ومعايير وأخلاقيات مستمدة من ديننا وواقعنا بأسلوب مباشر وغير مباشر، واستخدام نفس الوسيلة التي تم السيطرة واحتلالنا بها، والعمل على جعل الطفل يختار بين ما يتناسب مع الفطرة السليمة، وبين أنماط مستوردة ومفروضة عليه تتنافى مع كل ما يحيط به من واقع محلي وموروث حضاري ومستقبل مأمول. أي ان يلعب اليوم بتوشكي ويعمر غذا توشكي علي أساس من تنمية مستدامة ويمكن أن تكون هذه العبارة قد كانت ذات تأثير عميق في فكرة البحث والعمل عليه، وهي "ابني أبنيك ولا تبني له".

### **مراحل تنفيذ الرؤية:**

وضع استراتيجية بناء المستقبل (في بحثنا عن تنمية توشكي المستدامة)، يشمل مجموعة من قرارات وعمليات متكاملة ومتفاوتة في الحجم من بساطة وتعقيد وعلى مستويات متدرجة من سياسات عامة وخطط مرحلية (خمسية، عشرية، ..) وبرامج مختلفة الجوانب (تنموية، استثمارية، تعليمية، صحية، إسكانية، مجتمعية، سياحية، وغيرها)، وذلك التفاوت يأتي وفقا لمجموعة من ظروف واعتبارات مؤثرة ومحيطية (اجتماعية، اقتصادية، سياسية، سكانية، بيئية، دولية، وغيرها)، ثم تأتي بعد ذلك مستوى أو مرحلة المشروعات التنفيذية لكافة السياسات والخطط والبرامج السابق الاتفاق عليها. وتتضمن تنفيذ الاستراتيجية أو الرؤية مجموعة المشروعات المحددة الأهداف والمراحل حتى يمكن أن تتحقق وفقا للسياسات والخطط والبرامج الموضوعية سلفا، وتحتوي الرؤية في البحث على خطوات عملية لمجموعة من المراحل المتتابعة وتشمل: مرحلة الدراسات: من بيئة خيالية متكاملة متكونة من أسرة و مجموعة من الشخصيات (دمى) و (أدوات، مسكن، أزياء، ...)، ومراحل لاحقة يتم البحث فيها عن إمكانيات التمويل وتحتوي قصص أطفال ومجلات وأفلام سينمائية وفيديو، أدوات وملابس للأطفال، ثم مدينة ترفيهية متكاملة (مدينة المستقبل).

● **المرحلة الأولى:** مرحلة الفكر والدراسات (مرحلة تحديد ماهية الذات): دراسات فلسفية موضوعية من التخصصات المختلفة لوضع إطار نظري للمبادئ العامة. **الهدف:** "تحديد ما هي الذات بمجتمع توشكي على مستوى الدولة ومستوي العالم". **المنهج:** يتم في هذه المرحلة عمل أبحاث ودراسات علمية في تخصصات مختلفة للإجابة على سؤال: كيف نضع مستقبل مصر وكيفية بناء الأبناء وتتضمن هذه المرحلة عمل دراسات متعددة تبحث صناعة المستقبل من المنظور العالمي، ويمكن بنفس الفكر وضع رؤية ودراسات كيف نضع مستقبل توشكي، وذلك بهدف وضع هذه الدراسات في بناء السياق الفلسفي لبيئة المستقبل وبالتالي لبيئة لعبة الطفل. وتتم في هذه المرحلة تحديد البيئة الخاصة باللعبة من ناحية النقاط التالية: الشكل العام، الموضوعات، الشخصيات، الأسماء، الأقسام، الأنشطة، التقنية، الأزياء، الطبيعة، الأبعاد، الحجم، المستوى، مواد التصنيع، التكلفة وغيرها. **النتيجة:** يمكن تأليف عدد من الكتب والمباحث ناتجة من الدراسات المتعددة للمواضيع المرتبطة ببيئة اللعبة وخاصة وجود فريق عمل متعدد التخصصات يتم في رصد وتوثيق الواقع، وتخيل مستقبل مثالي مفترض ومحاولة وضعة في بوتقة واحدة في إطار من بيئة خيالية مدروسة للعبة الطفل.

● **المرحلة الثانية:** مرحلة دراسة (الوضع الراهن). **الهدف:** فهم الوضع الراهن لأساليب التأثير على فكر طفل اليوم، رجل الغد. **المنهج:** دراسة لعدد من النماذج المختلفة للألعاب وشركات لعب الأطفال، والتي لها أبعاد متعددة وتأثيرات مختلفة على طفل اليوم بمصر وتعتبر إحدى الوسائل الهامة في السيطرة على فكر وحاضر ومستقبل طفل اليوم رجل الغد. وكمثال دراسة كاملة وشاملة لشركة ديزني وشخصياتها المتعددة، ولعبة باربي كمثال ثاني محدد وغير منشعب ولها سوق مؤثر على عالم وطفل مصر وذلك من خلال دراسات تاريخية، وتحليلية، وتصنيعية، وإدارية وتسويقية وإعلامية، ومعلوماتية. وتشتمل هذه المرحلة مجموعة دراسات ميدانية واستبيانات لشرائح متباينة في السن، الجنس، الخلفية الاجتماعية/الاقتصادية، مستوى التعليم، سكان مصر من الأسكندرية حتى أسوان، لدراسة التأثيرات المختلفة لمجموعة من الموضوعات والألعاب. تشتمل هذه المرحلة تحليل مدقق للمؤسسات الصناعية الضخمة وكيف تدار العملية من أفكار وابتكارات، وسوق وتسويق، ودعاية وإعلام وإدارة وغيرها من

الموضوعات، والتي يمكن الالتجاء الى هذه الدراسات الواقعية من خلال الإنترنت (يوجد عدد ١٤٠٠ موقع لديزني وحوالي ٧٧٣ لباربي وذلك في أحد المواقع "تت سكيب")، وتحتوى هذه المواقع على كثير من الموضوعات من النشأة وبداية الفكرة، مروراً بكافة مراحل تطويرها حتى الخطط المستقبلية المستهدفة لكل عضو بالعبة. هذا بالإضافة الى شراء عدد من هذه الألعاب (البيئات كنماذج ودراستها نفسياً، تربوياً، تعليمياً، كأبعاد تصميم، ودراسة المواد، دراسة الألوان، وغيرها من المكونات المختلفة. ويتم دراسة تحليلية لتصميم بيئات الأنشطة المختلفة، دراسة طبيعة كل شخصية وانعكاساتها، دراسة لمستويات كل لعبة ووسائل انتشارها: (من دمية منفردة بسيطة المظهر، ميسرة السعر، حتى تكون عالم أخطبوطي كامل وحصار شامل من العاب، أفلام، وملابس، وأدوات، مجلات، أطعمة، ومدن ملاهي وغيرها). وتتم في هذه المرحلة دراسة لكافة المحاولات الوطنية المشابهة<sup>١</sup>، والجهود الأخرى المعنية بمستقبل الطفل، ودراسة المحاولات التي تمت على مستوى مصر، بل ودراسة محاولات دول أخرى لمقاومة العولمة بعمل نفس الدراسات والوصول الى نماذج وطنية للعب الأطفال يمكن لأطفالهم الاستعاضة بها ومن ثم غزو العالم بعد ذلك (كما حدث من اليابان والصين)<sup>١١</sup> ودراسة اوجه النجاح والفشل في كل مثال، ومحاولة صياغة إجابة للسؤال: لماذا الى الآن لم نصل الى نفس المستوى في تقدير حجم الموضوع ومن ثم البحث فيه ومحاولة مواجهته برغم إحساس الجميع بالمشكلة، والرغبة في المقاومة، ووفرة كافة الإمكانيات الفكرية والمالية؟ وأخيراً دراسة مسئولية الجيل الحالي، تجاه الجيل المستقبلي، والأدوار المختلفة وإمكانيات التطبيق، ومن ثم مسئولية المعمارى؟ **النتيجة:** تعتبر هذه المرحلة امتداد للمرحلة الأولى من الدراسات ولكن من جانب الوضع الفعلي لصناعة هذه البيئات والألعاب في العالم والمحاولات الوطنية لتكون مراجع استرشادية ونقطة انطلاق لما بعد ذلك، وسيتم ذلك من خلال عمل دراسات وأبحاث في كافة هذه المجالات حتى يتم ضمان نجاح الفكر النظري مع الواقع العملي للشرائح المختلفة للطفل المصري.

● **المرحلة الثالثة:** مرحلة الدراسات التصميمية. **الهدف:** تصميم بيئة معمارية تخيلية مدروسة ومتكاملة لمستقبل طفل توشكي (لعبة الطفل). **المنهج:** بعد انتهاء مرحلة الدراسات الفلسفية والنظرية ثم دراسة نماذج للوضع الراهن في إمبراطورية صناعة العاب الطفل على المستوى المحلى والإقليمي والعالمي. تأتي المرحلة الثالثة الهامة من الرؤية وهي مرحلة الدراسات التصميمية ومسئولية المعمارى في هذه المرحلة بلورة كافة القضايا الفكرية والإنسانية والحياتية التي تم التوصل إليها وترجمة ذلك الى بيئات مستهدفة تمثل تصوراً لبيئة توشكي المستقبلية في إطار أنشطة اللعبة وعلى مختلف مستويات. فإذا سلمنا قيام المعمارى بمسئولية البناء الواقعي وتصميم البيئات المختلفة التي يمارس فيها الإنسان كافة الأنشطة الحياتية. وأن الماضي مرحلة من مراحل الخيال في الدورة الزمنية لحياته بمجرد انتهاء الحاضر، يستفيد فيه من العبر والحكمة ما يفيد في مواجهة حاضره ومستقبله. والمستقبل ما هو إلا عالم غامض يترك فيه الإنسان لخياله وأحلامه وآماله مبرر لتحقيق أهدافه واستمرار حياته. وأن الحياة رحلة من العمل المتواصل بين الماضي والحاضر، وأن هذه العلاقات تحتاج الى بيئات من تنظيم المعمارى حتى تؤدي، وأن أعمار الأرض الهدف من وجود الإنسان. وأن الزمن عنصر متغير ومتواصل التأثير، وأن كل نشاط وأي نشاط يحتاج الى بيئة تحتويه، وأنه حتى الحلم الذي يعيشه الإنسان لا بد أن يتم في بيئة خيالية في ذهن الإنسان، فانه من ثم يمكن التأكيد على أن البيئة التخيلية الموجودة في ذهن الإنسان هي المكان الذي مر به بعدد من الأحداث والخبرات والتجارب والعبر والتربية والتعليم وهي البيئة التي تفاعلت فيها الظروف المختلفة مع الحواس الخمسة الخاصة بالإنسان من سمع وبصر وتدوق ولمس وشم ليتولد المحرك الرئيسي لمجموعة العلاقات المختلفة المرتبطة به من أخلاق، وضمير وسلوك واتجاهات وفكر. فإذا سلمنا إن العلاقة بين البيئة الخيالية والبيئة الواقعية بأنها من نسق واحد وأبعاد واحدة<sup>١٢</sup>. أدركنا حينها أن تصميم **العمارة في الواقع** لا يقل عنه من أهداف وقيم وتأثير عن تصميم **العمارة في الخيال**. بل يمكن التأكيد على أن تصميم بيئة في الخيال أصعب بمراحل من الواقع؛ حيث أن الإنسان يمكن أن يلجأ للخيال والبيئة التخيلية وأنماط وأشكال دون قيود للهروب من بيئة الواقع. عند ذلك نجد أن العملية التصميمية تأخذ أبعاد لا بد من عمق تدارسها. أن كل أنواع المعرفة يمكن أن تكون مجالاً للبحث

<sup>١</sup> - توجد محاولة لعمل لعبة تسمى "البلى العربية وأخيها" بهدف حماية النشء من "باربي والبوى فرند" ممولة ومدعمة من جامعة الدول العربية بميزانية تقديرية حوالي ٣ مليون دولار. (جريدةالاتحاد، السبت، ٢٣ أكتوبر ١٩٩٩، ص٦). في البوسنة تم إنتاج الدمية (أمينة) تعكس الثقافة البوسنية وتقع الأطفال هناك بثقافة البلد أما إيران فقد أنتجت الدمية (سارة) وهي دمية محببة حققت نجاحاً كبيراً. ومن الطبيعي أن تقوم العائلات العربية التي تعيش في المهجر بالبحث عن دمي لها صفات ومميزات قريبة الى ثقافتهم وتراثهم. فالدمية باربي التي تكتسح أسواق العالم خاصة الولايات المتحدة، مسقط رأسها، غير ملائمة وسماتها لا تتطابق الثقافة والحضارة العربية. لذلك يتطلب الأمر البحث عن بديل آخر، وبالفعل هناك في الأسواق الأميركية دمية أخرى تحاول "منافسة" باربي وتُعرف باسم "رازان". مع ملاحظة أن هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السعودية وضعت باربي في قائمة المنتجات المهيئة لتعاليم الدين الإسلامي، وذلك في الموقع الرسمي للهيئة على شبكة الإنترنت.

والدراسة ووضع الرؤى والاستراتيجيات المتوافقة والمتكاملة بشأن مستقبلات ليس فقط الجيل القادم إنما لأجيال قادمة. ففي مجال العمارة مثلا: يمكن أن تكون اللعبة مجال لتحديد مقاييس التصميم المثالية للجسم الخاصة بالإنسان المصري. حيث أن كافة المعماريين يتبعون مقاييس فيثروفياس، أو ليوناردو دافنشي، أو لوكروروبوزيه في أبعاد الإنسان، وكتب تيم سيفير، أونوفيرت في نظريات العمارة. فهل توجد دراسات متماثلة من بيئتنا وطبقا للمتطلبات الوظيفية المعمارية المصرية لتصميمات الأجيال المستقبلية. هذه جزئية في فرع تحتاجه المكتبة المصرية والعربية والمهندس المعماري وتكون نتاج فهم متعمق لكافة المحاولات التاريخية والعالمية، ومنها تكون الإضافة الخاصة بماهيتنا ومتطلباتنا. ويمكن أن يكون التنفيذ من خلال اللعبة (من متطلبات أي مشروع معماري أن يتم عمل نموذج (ماكيت دراسي، دعائي، تسويقي) مشابهة تماما لما يمكن أن ينفذ في الواقع. وعلى سبيل المثال، فإنه لا شك أن مقاييس دمية باربي، كانت نتاج دراسات متعددة ومسابقات لمكبات جمال أمريكا للوصول إلي كافة الأبعاد المختلفة، والنسب المثالية لكل منها، وملاحم الوجه النابعة من المجتمع الأمريكي. فنجد مثلا طول المسافة من الركبة إلى القدم نابعة من رغبات حسية وجنسية مسيطرة على فكر المجتمع الأمريكي. فهل تتوافق هذه الأفكار والمعايير والرغبات والمقاييس مع مجتمعنا. وهل توجد دراسات تغطي هذه الفجوة. هذه جزئية بسيطة من عديد من الدراسات المتقدمة والمطلوبة في إعداد معماري توشكي القادر على تحمل أعباء جيله ومستقبله. فمثلا تصميم منزل تناسب البيئة المصرية، فإنه توجد بحوث وكتب تتناول الموضوع بصورة سرد وتوثيق، بدون توظيف وتطوير وتطبيق، وحتى المحاولات المحدودة للتطبيق قوبلت وكأنها دعوة للتخلف في مجتمع الحداثة والعولمة. وكافة الفراغات المعمارية قوبلت بنفس المصير حتى تصميم المسجد، الكنيسة، السوق، المدارس، كافة المباني العامة، يتم التسليم بالأفكار الواردة، لعدم وجود بدائل مكافئة مستنبطة من البيئة والمجتمع. ومن المؤكد أن محاولات الأجداد كانت وليدة حكمة وخلاصة تجارب وفهم للبيئة، فهل لا توجد مقدرة للبحث والدراسة والتأليف من معماري اليوم بدلا من التسليم لكل ما هو دخيل ومستورد. وعليه فإن كل فراغ داخل الحواء التصميمي (في المنزل مثلا: حجرات المعيشة، الطعام، النوم وغيرها) تحتاج دراسات ومراجع يمكن العودة إليها في تصميم بيئة الواقع في توشكي وكذلك بيئة اللعبة توشكي. **النتيجة:** تصميم وتنفيذ المرحلة الأولى من البيئة الخيالية المتكاملة والمدروسة (اللعبة توشكي) من شخصيات، أسر، أزياء، أنشطة، فراغات، أدوات وغيرها من عناصر اللعبة المتكاملة مع عمل كتب مرجعية معمارية نابعة من المجتمع المصري والعربي، وكذلك عمل الأبحاث والرسومات التنفيذية.

● **المرحلة الرابعة:** الدراسات التجريبية للمنتج: (بين الفكر والتطبيق) **الهدف:** تجريب المحاولات الأولى لتصميم وتصنيع البيئة الخيالية (اللعبة توشكي) والقيام بدراسات التعديل وإعادة الصياغة. **المنهج:** بعد مرحلة التصميمات وعمل نماذج مختلفة للدمية، والبيئات المختلفة، والأنشطة، والموضوعات وغيرها، يتم اختبار الانعكاسات والتأثيرات الناتجة منها (مجموعة من الاختبارات، والاستبيانات على مجموعة من العينات المدروسة والمحددة). وتحديد أولويات وطبيعة كل منتج من البيئة (لعبة، أفلام و فيديو، قصص ومجلات، أدوات وملابس، مدينة ملاهي مكتملة). **النتيجة:** القيام بالتعديل وإعادة الرؤية والصياغة بناء على الدراسات والنتائج الخاصة بهذه المرحلة. وتتأتى هنا دور هام لموضوع دراسات الجدوى التصنيعية وفقا لطبيعة كل منتج.

● **المراحل الأربعة الأولى (مرحلة الدراسات) هي التي ركزت عليها الورقة البحثية وتسعى لتطبيقها أما المراحل التالية:** الخامسة وحتى السابعة (مرحلة التنفيذ) فتحتاج إلى برنامج تمويلي تنفيذي وتشمل المراحل التالية:

● **المرحلة الخامسة:** مرحلة التصنيع والتنفيذ للمشروع. (كيف يمكن الاعتماد على إمكانيات الذات) دراسات الكم والكيف، ما هي التقنية والإمكانات الممكنة للتصنيع، ما هي مصادر التمويل، حكومية أم قطاع خاص، أم بالتعاون المشترك، ما هي الطاقة الإنتاجية، مراحل وأنماط وشكل المنتج، وهل اللعبة (كدمية وبيئات أنشطة مختلفة)، أم مجلات دورية أسبوعية أو شهرية وقصص مختلفة، أم ملابس وأدوات مختلفة، أم أفلام وبرامج إعلامية، أم مدينة أطفال. كل أسلوب من الأساليب المختلفة لها دور في التأثير والانتشار للفكر المقصود للبيئة الخيالية لتوشكي.

● **المرحلة السادسة:** مرحلة دراسات السوق والتسويق والدعاية. (كيفية الانتشار وغزو العالم) من المراحل الهامة والتي تتبع من المصادقية، كيف يمكن في عالم السوق الحر والتنافس أن يكون لك وجود؟ وأن تنتشر ثقافتك لمجتمعك ومجتمعات أخرى وأين يمكن أن تكون مجالات التسويق لتوشكي اللعبة: هل فقط على مستوى مصر كدولة (سوق محلي، مصر بها ٣٠ مليون طفل) أم على مستوى الدول العربية (يكفى سوق الحج والتي تسيطر عليها منتجات العباب هونج كونج، الصين)، أم على مستوى العالم الإسلامي (باكستان، إيران، الهند، ماليزيا، أندونيسيا) أم على مستوى العالم، (يوجد أطفال من أصول عربية وإسلامية في أمريكا حوالي ٤ مليون طفل مستهدف، في أوروبا يوجد حوالي ٧ مليون طفل مستهدف)، أم على مستوى أطفال العالم ضمن منافسات السوق والفكر الحر، العولمة، وابتكاره العمل، نيل الأهداف، جودة المنتج. ودراسة لتساؤلات خاصة بكيفية يمكن غزو كل سوق والانتشار به وطبيعة نشر اللعبة ومواقبت اقتحام السوق.

● **المرحلة السابعة:** مرحلة الاستدامة والتطوير (كيف تتطور مع المتغيرات). فإدارة عملية ابتكار وإحياء بيئة خيالية لأستدامة التنمية بتوشكى لطفل اليوم، رجل الغد، تأخذ مجهود ومحاولات وتكاليف وزمن. ولكن بالإصرار والدعم وفي بيئة توافقة لإثبات الذات يمكن للعمل أن يرى النور. تعتبر المراحل السابقة هينة إذا قورنت بالمرحلة السابعة والتي تستهدف الاستدامة، وأن تكون هناك دراسات متواصلة للتطوير والابتكار ومراكز رصد وأبحاث للعمل في كل المستويات السابقة، وإدراك نمط المنافسة على مستوى الشركات والدول، والمواجهة من خلال استراتيجيات قصيرة ومتوسطة وطويلة الأجل، ودعم مستمر بكوادر مؤهلة من أجيال المستقبل لتولى حماية وإدارة العمل.

**نتائج البحث:** تحرص الورقة البحثية في المقام الأول على أن ترتبط الدراسات المعنية بتنمية توشكى بالبيئة الخيالية للطفل مع تأكيد تراثه الحضاري وأصالته التاريخية. فهناك إضافة للشخصية الرسمية وهي طفلة أسمها "توشكى" أسرة أساسية ترتبط باللعبة، شخصيات مختلفة من كل مجتمع سابق ومن مناطق مختلفة جغرافياً: فمثلاً هناك شخصية هامة من كل منطقة بمصر من القاهرة، الإسكندرية، صعيد مصر، الدلتا، سيناء وغيرها، كما توجد شخصيات من حضارات مصر المختلفة، من المنطقة العربية، ثم العالم أجمع. ويمكن أن تكون شخصية اعتبارية لكل بلد أو مكان مستمدة من أسماء أعلام شهيرة محلية وعالمية وفي فروع مختلفة للعلوم مثل: رفاة الطهطاوي، أحمد زويل، أم كلثوم، أو جاليليو ونيوتن والحسن بن الهيثم وجابر بن حيان وغيرهم. إن طفل مصر لمتشوق إلى لمسة حضارية يدخل من خلالها متسلحاً إلى مستقبله ليعرف ويتعلم ويفكر ويكتشف ويجرب ويتأمل ويستشرف المستقبل ويبتكر ويمارس أنشطة وهوايات تروحية، فهو ينمو ويستمتع وبالتالي فإن الطفل يشعر من خلال هذا أن الدولة والمجتمع يهتم به وبتربيته مثلما تهتم الدول التي تطلق عليها متقدمة من خلال صناعة لعب الأطفال بغرس كل ما يخدم أفكارهم ومخططاتهم توجهاتهم. وفي الرؤية تكاثف لطاقت فكر وخبرة ودراسات وبحوث وكتب مختلفة ومتشعبة بهدف رؤية مستقبلية لطفل اليوم، رجل الغد بتوشكى ومصر كهدف رئيسي. ولا بد من تناسق بين "الوسائل مع الغايات". وتم ترجمة ذلك لوسيلة لها عدد من الأوجه في سياق واحد وذلك بهدف الوصول إلى نموذج مصري، للعبة طفل (بيئة تخيلية لتوشكى وعالم متكامل الموضوعات) يمكن بها أن يعيش توشكى كطفل وتنفيذها كشباب ورجل في المستقبل. والفوائد العملية للرؤية يمكن تلخيصها في:

- الفائدة الأساسية والعملية للبيئة هي الحفاظ على الهوية واستدامة التنمية بتوشكى في بناء طفل اليوم، رجل الغد.
- تأليف عدد من كتب ومباحث ناتجة من دراسات متعددة لمواضيع مرتبطة ببيئة اللعبة ويتم رصد وتوثيق الواقع، وتخيل المستقبل المثالي المقترض ومحاولة وضعة في بوتقة واحدة في إطار من بيئة خيالية مدروسة للعبة الطفل.
- عمل مجموعة من المراجع الاسترشادية للتصميم المعماري وتوظيفها في تصميم البيئة التخيلية.
- دراسة مدى ملائمة تصميمات بيئة توشكى للعبة، لطفل ومجتمع مصر والقيام بالتعديل وإعادة الرؤية والصياغة بناء على هذه الدراسات والنتائج الخاصة بهذه المرحلة، ومنها يتم تحديد التصميم المناسب لتوشكى في الواقع.

#### **المراجع:**

- ١ - حور، إبراهيم محمد: "الأسرة - الطفل - الثقافة: تشخيص واقع واستشراف مستقبل في الحياة العربية"، مجموعة أبحاث الأسرة والطفل، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة، طبعة أولى، ١٩٩٤، ص ١١.
- ٢ - دبوس، سونيا، "مع اقتراب القرن الجديد هدبة الرئيس مبارك لأطفال مصر"، جريدة أخبار اليوم، ٢٧ نوفمبر ١٩٩٩، ص ١٤.
- ٣ - الجنزوري، كمال: "مصر والقرن الحادي والعشرون"، كتاب الأهرام الاقتصادي، العدد ١١٤، أول يوليو ١٩٩٧، ص ١٢.
- ٤ - المراعي، محمود، "الخيال وصناعة المستقبل"، قضايا وأراء، جريد الأهرام، العدد ٤٢٧١٥، السنة ١٢٧، ١٨ نوفمبر ٢٠٠٣.
- ٥ - [توشكى الحاضر والمستقبل](http://www.mwri.gov.eg/toshka), <http://www.mwri.gov.eg/toshka>
- ٦ - Abada, Gala & Tamer El Khorazaty, "Toshka: A Disappointing Competition for All", In Medina Issue Ten, Architecture, Interiors & Fine Arts. British Virgin Islands, (November - December 1999): pp 50 - 57.
- ٧ - فتحي، حسن: "الطاقة الطبيعية والعمارة التقليدية: مبادئ وأمثلة من المناخ الجاف الحار"، جامعة الأمم المتحدة - طوكيو، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٨.
- ٨ - Lotman, Y, M, "Universe of the Mind. A semiotic theory of culture", London, New York: Tauris, 1990.
- ٩ - Patton, M, "Qualitative Evaluation and Research Method", Sage Publication Inc, 1990.
- ١٠ - لؤلؤ، عبدالله وخليفة أمينة: "الأسرة الخليجية: معالم التغير وتوجهات المستقبل"، جامعة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، ص ٢٥٠-٢٥١.
- ١١ - العودة، سليمان، "باربي وأخواتها"، <http://saaaid.net/Minute/mm8.htm>.
- ١٢ - Warlamis, Efthymios, "Learning From Santorini: The Ecological Space", World Ecological Scholl of Santorini, Programme of European Communities, Grease, 1995.